

الأخلاق في القرآن فروع المسائل الأخلاقية

[188] أن موسى وهارون كذلك يريدون الدين كوسيلة واداة للتوصل إلى الحكومة والسيطرة. وهذا المرض الأخلاقي يستمر مع البشر على طول التاريخ إلى أن نصل إلى زمن الإسلام وعصر رسول الله (صلى الله عليه وآله). -- وفي "الآية السابعة" نرى أيضاً أن العامل الأساس في انحراف المشركين العرب هو التقليد الأعمى والتعصب لتراث الآباء والأجداد والذي يوصد أبواب المعرفة من كل جانب على أصحاب هذه الصفة الرذيلة فتقول الآية : (وَإِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ أَنْ نَبِّئِ النَّاسَ بِآيَاتِنَا وَلَكِنْ قَالُوا نَزَّلَ إِلَيْهِ الْوَحْيُ بِاللُّغَةِ الْفَارَسِيَّةِ وَكَلَّمَ بِالْحَمِيرِ وَاللَّهُ يَخْتَارُ مَا يَشَاءُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ رُسُلِهِ وَلَهُ الْعِزَّةُ الْأَعْلَى (1)). ولكن القرآن الكريم يجيبهم على هذا التصور الباطل بجواب حاسم وقاطع ويقول : (... أَوَلَوْ كُنَّا إِلَّا بِآثَرِ نُوحٍ وَآثَرِ هُودٍ وَآثَرِ يُونُسَ وَآثَرِ لُوطٍ أَلَيْسَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدَرٌ (2)). ويتضح من سياق هذه الآية أن هؤلاء المشركين لم يُنكروا على النبي (صلى الله عليه وآله) دعوته السماوية وأنه يتحدث من قبل الله تعالى (مَنْ أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْقُرْآنِ فَقُلْ هُوَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ الْبَشَرَ أَشَدُّ بَغْوَاً) ولكنهم كانوا غارقين في مستنقع التعصب والعناد والجهل إلى درجة أنهم يفضلون دينهم الذي ورثوه عن الآباء والأجداد على دين الله وهم يعلمون بأن أسلافهم كانوا يعيشون الجهل والضلالة. وبهذا نجد أن الجهل والتعصب يتسبب في أن الإنسان يترك بسهولة (مَنْ أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْقُرْآنِ فَقُلْ هُوَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ الْبَشَرَ أَشَدُّ بَغْوَاً) ويدير له ظهره ويتجه نحو الباطل رغم أنه يميز بين الحق والباطل من موقع الوضوح في الرؤية. -- وتستعرض "الآية الثامنة" قصة الحُديبية حيث يذكر الله تعالى المسلمين بما جرى من حوادث مهمة وأن الكفار رغم رؤيتهم لعلائم حقانية النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) إلا أنهم وبسبب التعصبات الجاهلية لم يتحرروا في خط الإيمان، وكانت هذه الرذيلة الأخلاقية قد منعتهم من سلوك طريق السعادة العظمى فتقول الآية : (إِذْ جَعَلْنَا الْبَشَرَ شَرَكاً فِي دِينِكُمْ يَا مُحَمَّدُ لِيَعْلَمُوا أَنَّمَا الْإِيمَانُ كِتَابٌ كَرِيمٌ (1). سورة البقرة، الآية 170. 2. سورة البقرة، الآية 170.